جدد إيمانك

معالم الطريق

إلى تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى

تأليف

عاطف بن عبد المعز الفيومي

منهاج النبوة

جدد إيمانك

معالم الطريق
إلى تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى

تأليف

عاطف بن عبد العزيز الفيومي

منهاج النبوة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تنبيه

لا يجوز تصوير أو تنضيد أو طباعة الكتاب إلا بموافقة من المؤلف أو من المكتبة الناشرة صيانة لحقوق الجميع ومراعاة لعامل الحق الشرعي.

بريد المؤلف الإلكتروني

at_2000m@yahoo.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالَمين، نبيِّنا محمَّد - صلَّى الله عليْه وآله أجمعين. أما بعد:

فإن الفتن تتعدد في مراحل الحياة المختلفة، والتي تتكون وتتلون من فتن الشهوات والشبهات، وهذا لا ريب يؤثر في النفس والقلب والجوارح، مما يضعف الإيمان أحيانًا ويطفيء نوره وهدايته في النفس.

ومن هنا فإن تجديد الإيمان في القلوب والنفوس، وتوثيق الصلة بالله – تعالى –، أمر جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

ومن هنا كانت الحاجة الماسة إلى إحداث يقظة في القلب والجوارح، تجدد تلك المعالم النقية، وتهدي الأنفس الزكية إلى أنوار الإيمان والتوحيد، وتضيء الطريق للسالكين.

ومن هنا كانت تلك المعالم الوجيزة، والإشارات العزيزة، لبناء معالم الإيمان في القلب والنفس من جديد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وكتبه

أبو شهاب الدين عاطف بن محمد بن عبد المعز الفيومي

فيصل – الجيزة – مصر

أهمية تجديد الإيمان في حياة المسلم

*** الإيمان أساس الدين والحياة:**

مما لا ريب فيه في شريعتنا وديننا أن الإيمان أصل الدين وعموده الأقوم، بل وأصل الأصول، وطريق الوصول، ومن هنا فإن الإيمان له في حياة الإنسان النصيب الأوفر، من الاعتقاد والعلم والعمل.

ولهذا فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يشمل ثلاثة أمور وهي: الاعتقاد الجازم بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح والأركان.

كما جاء عن الإمام الشافعي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة": "وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزيء واحد من الثلاثة عن الآخر".

وهذا الإيمان يزيد وينقص، وزيادته تكون بعمل الطاعات والصالحات، ونقصه يكون بالمعاصي والزلات، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر:٣١].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤ – ١٢٥].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

وكما قال الإمام القحطاني – رحمه الله –:

إِيمَانُنَـــا بِـــاللهِ بَـــيْنَ ثَلاَثَـــةٍ عَمَـلٍ ، وَقَـوْلٍ ، وَاعْتِقَـادِ جَنَـانِ

وَيَزِيـدُ بِـالتَّقْوَى وَيَـنْقُصُ بِـالرَّدَى وَكِلاَهُمَـا فِي الْقَلْـبِ يَعْتَلِجَـانِ

كما أن هذا الإيمان له شعب وأركان، كما في قوله – صلى الله عليه وسلم –: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها، قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" رواه مسلم.

كما أن الإيمان له حلاوة تقع في القلب والنفس، كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" متفق عليه.

وكذلك الإيمان له طعم في القلب والنفس، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً" رواه مسلم.

ولهذا فإن من تحقق فيه هذا الإيمان اعتقادًا وقولًا وعملًا، فهو أسعد الناس في مجموع حاله وتقلبات أموره، سواء أكانت من الابتلاءات والأقدار الجارية والتمحيص، أو كانت من السراء والنعماء، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له" رواه مسلم.

والإيمان أيضًا له الأثر الكبير في صلاح العبد واستقامته، وفي تحقيق الصبر والثبات له في الدارين، وفي زيادة اليقين والتوحيد في القلب، وفي الطمأنينة النفسية، وتحقيق الأمن والأمان، وفي بناء الفرد والمجتمع معًا، وفي تهذيب السلوك والأخلاق، وفي تهذيب الغرائز والشهوات في مسارها القويم.

كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٤،١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢].

فالإنسان إذا لم يقع الإيمان في قلبه حق الموقع، فهو إنسان بلا حياة، بلا بصيرة، بلا هداية، يتخبط في الدنيا ذات اليمين وذات الشمال، فمرة يكون صالحًا على قدر إيمانه، وتارة يكون مترددًا بين أهل الأهواء والبدع، وتارة يكون مترديًا مع أهل الفتن والشهوات الجامحة العاصفة.

ومن هذا المنطلق لا بد من إيقاظ النفس الغافلة بمعالم الإيمان الحق، ولا بد من رفع الغشاوة عن القلب العمي المتخبط في الشهوات والمحرمات، ولا بد من طريق يرشد العبد ويبصره ويهديه، وليس ذلك إلا بالإيمان بالله والرضا به وعنه، ومحبته والإنابة إليه، وصدق الخوف منه، والرجاء في فضله وجوده وعطاءه.

* ضرورة تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله:

ولهذا فنحن نقول:

أنّ الإيمان ومعالمه وتحقيقه في القلب والجوارح أغلى ما يملك المسلم في حياته، وأعز ما يقربه من ربه تعالى، لأن العبد بالإيمان يكون من أهل السعادة في الدارين، أو يكون من أهل العذاب والشقاوة، ولأن الإيمان هو أصل كل خير، والإعراض عنه أصل كل فتنة وشر.

فالإيمان وتحقيقه في القلب والجوارح سبيل المؤمنين بوعد الله في الدنيا والآخـرة، وبـه سعادتهم وهدايتهم ونجاتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

كما أن الإعراض عن تحقيق الإيمان في القلب، والبعد عن أصوله وهدايته، هـو سـبيل المجرمين والمنافقين والكافرين، وفي إعراضهم شقاوتهم وهلاكهم في الـدارين ولا ريـب، كما قال تعالى: ﴿ ... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وكما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٩١].

ومن هنا فالمسلم الحق، هو من يراعي بين الوقت والوقت في مراحـل عمـره أن يجـدد معالم الإيمان وأنواره في قلبه وجوراحه، وأن يوثق كـذلك صـلته بربـه وخالقـه سـبحانه، وذلك لكثرة الفـتن الجامحـة في الـنفس، والظـاهرة في المجتمـع، والتـي تنبـع مـن أصـول الشهوات والشبهات معًا.

إن كثيرًا من الناس يضعف إيمانهم وينقص، بسبب تيار الشهوات الجارف، من حـب النساء المحرم، وجمع المال والدنيا، والانشغال بالتجارات والعقارات، والعمل والوظائف، حتى أنهم يشكون قسوة قلوبهم، وقلة عبادتهم وذكرهم لـربهم، وانحسـار أفهـامهم عـن تدبر معاني القرآن والسنة، وضعف هممهم أمام تلك المغريات والفاتنات، وكل هـذا لابـد معه من تجديد الإيمان في القلب والجوارح معًا، ليكون الضياء والنور لهـا، وليكـون توثيقًـا عميقًا للصلة بين العبد وخالقه، ولا ينجرف وينحرف مع شهوات الفتن وشبهاتها.

وإن تجديد الإيمان في القلوب والنفوس، وتوثيق الصلة بالله – تعالى –، أمر جاءت بـه نصوص الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

وجاء في الحديث عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم". [روه الحاكم والطبراني وصححه الألباني].

إن العوامل والفتن والابتلاءات التي تحيط بنا من كل مكان، لا ريب أنها تؤثر في القلب والنفس، وربما وقع صاحبها في الضيق والحرج والإثم، لضعف العامل الإيماني والوازع الشرعي في القلب.

بل ربما وقع مثل هذا في الانتكاس عن طريق الاستقامة والعبادة، فيقع منه التقصير في الفرائض والواجبات، كالمحافظة على الصلوات الخمس والجمع والجماعات، أو بذل حقوق المسلمين عليه، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الله تعالى.

وقد يقع في التقصير في أعمال اليوم والليلة، والتي كان في حال سابق دائم المحافظة عليها، كترك قيام الليل، والذكر في الصباح والمساء، والتطوع والنوافل اليومية، وصيام الاثنين والخميس.

فالمسلم إذن في حاجة دائمة إلى تقويم إيمانه وتهذيب نفسه وتزكيتها حتى لا تؤثر فيه عوامل الفتنة والابتلاءات من حوله.

وهناك الكثير من الوسائل الإيمانية والصلات الربانية التي ترفع مستوى الإيمان في القلب، وتوثق الصلة بين العبد وربه وتزكي النفس وتهذبها، منها: المحافظة على عمل اليوم والليلة، وأذكار الصباح والمساء، والسنن والرواتب، وصيام التطوع، وورد تلاوة

القرآن، والعناية بأعمال القلوب من الإخلاص، والصدق، والإنابة، والخشية، والخوف، والرجاء.

وكذلك تحقيق الإحسان بكل أنوعه وصوره، وتحقيق التقوى في كل الأحوال، ومطالعة السيرة النبوية، ومطالعة سير وتراجم العلماء والصالحين، ومجالسة العلماء والصالحين، وحضور مجالس العلم.

وكذلك الحذر أشد الحذر من مقارفة الذنوب والمعاصي، والتهاون في ارتكاب المحرمات والمناهي، وأيضًا ملازمة الصحبة الصالحة، والحذر من صحبة السوء والأشرار، ولكل منها أدلتها وشواهدها من القرآن والسنة والأخبار والقصص.

*** وسأذكر هنا أمثلة سريعة ومختصرة لتلك الوسائل العظيمة، في تجديد الإيمان، وتوثيق الصلة بالله تعالى، فمن ذلك على سبيل المثال ما يلي.**

* * *

إقامة العبودية وتحقيق مقاماتها

إن على العبد أنْ يُدرك هذه الحقيقة المهمة والكبيرة، إنَّها حقيقة خلقنا في دار الدنيا، فالله – تعالى – خلقنا وأوجدنا؛ لحكمة جليلة، وغاية نبيلة، وهي: "عبادة الله وحدَه لا شريك له".

وقد بين ذلك الله – تعالى – في كتابه؛ حَتَّى لا يكونَ لأحد حجة أو معذرة يومَ القيامة فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالله – تعالى – ما خلقنا للعب واللهو الباطل، والانشغال بالشَّهوات المحرمة، والانغماس في الدنيا وحطامها الفاني، كلاَّ، إنَّما خلقنا لشرف العبادة والعبودية له وحدَه تعالى.

والعبادة لله تعني: أنْ تكونَ حياتنا كلها لله – تعالى – قائمة بأمره، وما شرعه على لسان رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما أخبر تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]، فلا ذبح، ولا نذر، ولا قربان، ولا تعبد، ولا شيء من ذلك إلاَّ لمستحقه – سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"؛ اهـ.

فالعبادة بهذا المعنى: عبادة شاملة وعامَّة، ففي الإيمان بالله – تعالى – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره – عِبادة، وفي إقامة الصلوات، وإيتاء الزَّكوات، وصوم رمضان، وحج البيت، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وإماطة الأذى عن الطريق، وذكر الله، والإحسان للناس – عبادة، وفي الحكم بما أنزل الله عبادة،

وفي أموالنا واقتصادنا عبادة، وفي العمل الصالح عبادة، وفي كلِّ شؤوننا عبادة؛ لأنَّها عبـادة شاملة كاملة من لدن حكيم خبير.

وهذه العبادة توقيفِيَّة: بمعنى أنَّه لا يشرع منها إلاَّ بدليل من الكتـاب والسـنة، ومـا لم يشرع يُعَدُّ بدعة مردودة، كما قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في الحـديث المتفـق عليـه: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد))؛ أي: مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنَّه معصية وليس طاعة.

ثم اعلم أنَّ المنهج السليم في أداء العبـادات المشروعـة هـو الاعتـدال: بـين التسـاهل والتكاسُل، وبين التشدد والغلو؛ قال تعالى لنبيه – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ﴿ فَاسْـتَقِمْ كَـمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّـهُ بِـمَا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ ﴾ [هـود: ١١٢]، فهـذه الآيـة الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات.. انتهى.

ومبنى العبادة في الشريعة الإسلامية يقوم على قاعدتين مهمتين:

الأولى: ألا يعبد إلا الله وحدَه.

الثانية: ألا يعبد إلا بما شُرِعَ على لسان رسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

فالعبودية لله – تعالى – هي غاية الوجود الإنساني في الحياة الدُّنيا، وقد تعرَّض القـرآن الكريم لها، وبَيَّنَ ما اشتملت عليه من المقامات العالية، وأشـار القـرآنُ إليهـا في كثـيرٍ مـن آياته، ودعا إليها، وحَثَّ عليها، ومدح أهلَها القائمين بها وبحقوقها، وأثنى بها على أنبيائـه ورُسله – عليهم السلام – ووعدهم بالأمن يومَ القيامـة مـن الفـزع والأهـوال، وبـالفوز بجنَّات النعيم في دار الخلود الأبدي، ومن ثَمَّ أمر بها عبـادَه الصـالحين، بَـدْءًا مـن الأنبيـاء والمرسلين، وشرعها لهم ولأتباعهم من بعدهم، وأمرَهم بالإخلاص فيها، وجعل دعوتَهم جميعًا إليها:

كما قال الله – سبحانه –: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال – سبحانه –: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وبهذه العبادة أرسل جميع الرسل، كما قال نوح – عليه السَّلام – لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم – عليهم السلام – لأقوامهم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال أيضًا لرسوله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هنا هو: الموت.

كما وصف – سبحانه – ملائكتَه وأنبياءَه بالعبودية، فقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وقال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وهذا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في العهد المكي يقدم المثل الأعلى في التعبد وتحقيق الإيمان والصلة بالله تعالى، فكان يقوم من الليل، ويقرأ كتابَ الله – تعالى – ويرتل آياته، ويتمعن في معانيه، ويأخذ منه الزاد والإيمان؛ ليتقوى به على عبادة ربه، والدعوة إلى سبيله، وحمل رسالة الإسلام، وتبليغها للعالمين.

ومن تأمَّل سورة المزمل، أدرك ذلك أيما إدراك؛ كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي

عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْـوَمُ قِـيلاً * إِنَّ لَـكَ فِي النَّهَـارِ سَـبْحًا طَوِيلاً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْـرِبِ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ فَاتَّخِـذْهُ وَكِيلاً * وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُـرْهُمْ هَجْـرًا جَمِـيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَـذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَـةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ [المزمل: ١ - ١١].

وقد كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقوم من الليل حتى تتورمَ قـدماه مـن طـول القيام، وهو متبتِّل قانت قائم باكٍ بين يدي الله - تعالى - فعـن عائشـةَ - رضي الله عنهـا - قالت: كان النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلـت لـه: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تـأخر؟ قـال: ((أفـلا أكـون عبدًا شكورًا))؛ [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "كان النبي - صلَّى الله عليه وسـلَّم - يُصـلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعةٍ))؛ [متفقٌ عليه].

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلَّى الله عليـه وسـلَّم - يفطـر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطـر منـه شـيئًا؛ وكـان لا تشاء أن تراه من الليل مُصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته"؛ [رواه البخاري].

فلنتأمَّل كيف كانت عبادة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكيف أنَّه لا يكلُّ ولا يفـتر عنها من قيام، أو تلاوة للقرآن، أو ذكر، أو تسبيح، أو صيام، أو غير ذلك.

بل إنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يحث أصحابَه على العبـادة والقيـام، وغـير ذلك من سائر العبادات، وكان يأمرهم بها، ويُربِّيهم على الاستزادة منها، والحرص عليها، ويعلمهم فيها ما ينفعهم، ويُحذِّرهم من التكاسُل عنها، واقـرؤوا معـي هـذه الأحاديـث؛ لتعلموا فقهَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في تربية وتوجيه الصَّـحابة الكـرام - رضي الله عنهم -:

فعن عليٍّ – رضي الله عنه – أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: ((ألاَ تصليان))؛ [متفقٌ عليه].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – عن أبيه: أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل))، قال سالمٌ: "فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً"؛ [متفقٌ عليه].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((يا عبد الله، لا تكن مثل فلانٍ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل))؛ [متفقٌ عليه].

وعن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: ذكر عند النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – رجلٌ نام ليلةً حتى أصبح، قال: ((ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه))، أو قال: ((في أذنه))؛ [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام – ثلاثَ عقدٍ، يضرب على كل عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ، فذكر الله – تعالى – انحلت عقدةٌ، فإن توضأ، انحلت عقدةٌ، فإن صلى، انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيبَ النفس، وإلاَّ أصبح خبيثَ النفس كسلان))؛ [متفقٌ عليه].

وعن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلامٍ))؛ [رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

فهذه الأحاديث والنصوص تبين لنا كيف كان رسول الله المثل الأعلى في امتثاله لأمر الله - تعالى - وقيامه بالعبادة في الليل، وكيف أنَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يربي أصحابه عليها، ويَحثهم ويرشدهم إلى فعلها.

وفي هذا درس تربوي جليل لكل مربٍّ وكل داعية إلى الله - تعالى - ألاَّ يأمر الناس حتى يفعل، وألاَّ يدعو الناسَ إلى شيء يقوم هو بفعل ما ينقضه أو يخالفه، فإنَّ هذا من القبح عند الله - تعالى - بمكان، كما قال - سبحانه -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

*** وأمَّا صور مَقامات العبودية في القُرآن فكثيرة، منها:**

تحقيق مقام الإخلاص: كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١، ١٢]، وقال تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤].

ومنها مقام الصِّدق: كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

ومنها مقام التوبة والإنابة: كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

أمَّا الإنابة، فقال فيها ربُّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٨].

ومنها مقام الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة: كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومنها مقام الفرار: كما قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وقال تعالى عن موسى - عليه السلام -: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه: ٨٤].

ومنها مقام السمع والطاعة: كما قال سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا ﴾ [المائدة: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ [النساء: ٤٦].

ومنها مقام الإخْبات: كما قال فيه - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

وقال - عزَّ وجلَّ - أيضًا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [هود: ٢٣].

ومنها مقام الزهد في الدنيا ومتاعها: كما قال سبحانه: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٢٤].

ومنها مقام الورع: كما في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٤]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

ومنها مقام الرجاء والخوف: كما قال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ومنها مقام المراقبة: كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ رَقِيبًـا ﴾ [الأحـزاب: ٥٢]، وقـال تعـالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

ومنها مقام تعظيم حرمات الله: كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَـهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠].

ومنها مقام الاستقامة: كـما قـال الله - عـزَّ وجـلَّ -: ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللهُ ثُـمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْـتُمْ تُوعَـدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال سبحانه لنبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَـنْ تَـابَ مَعَـكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

وذِكرُ مَقامات العبودية أمرٌ يطولُ بالاستِقراء لها في القُرآن الكريم، وحسبنا أن نـدرك من هذا أن تحقيق هذه المقامات، يرفع العبد رفيـع الـدرجات، ويكثـر لـه مـن الحسـنات، ويجدد الإيمان في قلبه ونفسه، ويوثق صلته بربه وخالقه تعالى.

* * *

طلب العلم النافع والفقه في الدين

مما يزيد الإيمان ويجدده، ويوثق الصلة بالله حقًا، الحرص على طلب الفقه والعلم النافع؛ لأنَّ طلب العلم يُصحِّح أخطاءنا في فهم المنهج، ويبصرنا بالطريق، ويُرشدنا للصَّواب، ويجنبنا العثرات والعقبات، ويدلنا على سعادةِ الدَّارين، وحسبكم بشرف العلم وأهله فضيلة ومكانة.

إنَّ طلب العلم فريضة واجبة على كل مسلم، كل على قدر استطاعته وضرورته؛ لأَنَّ الله - تعالى - افترض علينا في شريعة الإسلام أركانًا وواجبات، وسننًا ومُستحبات، ولا تتم هذه الفرائض والواجبات إلا بالتعبُّد الصحيح بها، والقيام بحقها، ولا يكون ذلك إلا بطلب العلم بها، ومعرفة شروطها وأركانها، وتمييز الواجبات والشرائع عن بعضها.

كما أنَّ الإسلامَ جاء بعمارة الدنيا لإقامة الدين؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، ولا يكون ذلك أيضًا إلا بالعلم وطلبه.

ونحن إذا تأمَّلنا آيات القرآن، وجدنا أنَّ اللهَ - تعالى - في أول ما أنزل على رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يأمرنا بطلب العلم النافع بمعناه الواسع الشامل للعلم الشرعي وغيره ما كان نافعًا؛ فقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وقال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

كما أنَّ الله - تعالى - فرَّق بين العالم وغيره، وجعل لكل واحد مكانة تليق به، وفضل العالم على غيره؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

كما أنَّ الله – تعالى – جعل لطلبة العلم وأهلـه درجـاتٍ عاليـات عنـده – سـبحانه – فقال: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]، وصدق القائل:

تَعَلَّـمْ فَـإِنَّ الْعِلْـمَ زَيْـنٌ لِأَهْلِـهِ وَفَضْـلٌ وَعُنْـوَانٌ لِكُـلِّ الْمَحَامِـدِ
تَفَقَّـهْ فَـإِنَّ الْفِقْـهَ أَفْضَـلُ قَائِـدٍ إِلَى الْـبِرِّ وَالتَّقْـوَى وَأَعْـدَلُ قَاصِـدِ

وكذلك لو تأمَّلنا السنةَ النبوية لَوَجدنا أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بَـيَّن فضـيلة طلب العلم والفقه في الدين وضرورته، فقد روى الشيخان عن معاوية – رضي الله عنـه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه قال: ((مَن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنـا قاسم والله يعطي)).

وكذلك جاء بسند حسن وصححه الألباني عند ابن ماجه عن معاوية بـن أبي سـفيان يحدث عن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه قال: ((الخير عادة، والشَّرُّ لجاجة، ومـن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)).

ولا يفوتنا أن نذكر دعوةَ النبي – صـلَّى الله عليـه وسـلَّم – لابـن عبـاس – رضي الله عنهما – بالفقه في الدين؛ حيث قال: ((اللهم فقهه في الدين، وعلِّمه التأويل)).

فعن عبد الله بن عباس قال: "أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – ثم احتلم، فأُمِرَ بالاغتسال، فاغتسل فمات، فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – فقال: ((قتلوه قتلهم الله، ألَمَ يكن شفاء العِيِّ السؤال))"؛ حـديث حسـن، [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

وجاء في الحديث: ((مَن سلك طريقًا يلتمس فيـه علـمًا، سَـهَّل الله لـه بـه طريقًـا إلى الجنة))؛ حديث حسن، [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قـال: "قـال رسـولُ الله – صـلَّى الله عليـه وسلَّم –: ((سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتمـوهم، فقولـوا لهـم: مرحبًـا بوصـية رسول الله وَأَقْنُوهم – علموهم))، وفي رواية أخرى: ((وأفتوهم))"؛ [أخرجه ابن ماجـه بسند حسن].

وقد روى الشيخان عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمَثَلِ غَيْثٍ أصـاب أرضًـا، فكانـت منهـا طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكان منها أجـادب أمسـكت المـاء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصـاب طائفـة منهـا أخـرى إنَّـما هـي قيعان، لا تُمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقِهَ في دين الله، ونَفَعه الله بما بعثنـي الله به، فعلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدَى الله الذي أرسلت به)).

فمِن هذه النُّصوص وغيرها نُدرك فضيلةَ طلب العلـم والتفقـه في مسـائل الشريعـة، وضرورة ذلك، وقد قال عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – لكميل بن زياد: "يا كميـلُ، العلمُ خَيْرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق".

وقال:

مَـا الْفَخْـرُ إِلاَّ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ إِنَّهُـمُ عَـلَى الْهُـدَى لِمَـنِ اسْـتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقَـدْرُ كُـلِّ امْـرِئٍ مَـا كَـانَ يُحْسِـنُهُ وَالْجَـاهِلُونَ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ أَعْـدَاءُ
فَفُـزْ بِعِلْـمٍ تَعِـشْ حَيًّـا بِـهِ أَبَـدًا فَالنَّـاسُ مَـوْتَى وَأَهْـلُ الْعِلْـمِ أَحْيَـاءُ

وقال أيضًا – رضي الله عنه –: "قيمة كلِّ امرئ ما يحسنه".

وخلاصة القول:

أن المسلم إذا أدرك العلم والفقه في الدين حق الإدارك، فلا ريـب أن هـذا مـن معـالم زيادة الإيمان في القلب والجوارح، وإن معرفة التوحيد ومعناه، وهدايته وأسراره، مما يكون سببًا في معرفة العبد لربه حق المعرفة، فلا شرك في العبادة مع الله، ولا نـذر، ولا ذبـح، ولا طواف، ولا خوف، ولا رجاء، ولا محبة، ولا إنابة، إلا أن تكون لله وحده.

وكذلك إذا تبصر المسلم بمراتب العبـادات والفـرائض، والواجبـات والمسـتحبات، وقام بأدائها على أكمل وجوهها، فهذا له من الأثر في صلاح الظاهر والبـاطن مـا لا يحصى من الخيرات، ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والسئيات، وصلاح الفرد والمجتمع.

* * *

تحقيق عقيدة الولاء والبراء

ومما يجدد الإيمان في القلب، تحقيق عقيدة الـولاء والـبراء ، وعـدم مشـابهة المخـالفين لمنهج الإسلام وعقيدته من المشركين والكافرين وأذنابهم، وكـذلك الفاسـقين والمنـافقين؛ وذلك لضمان سلامة المنهج وصحته واستقامة؛ لأن الولاء والبراء قضية أسـاس في عقيـدة المسلم، وفي تحقيق كمال الإيمان والتوحيد.

ماذا تعني قضية الولاء والبراء؟

إن المقصود بتحقيق الولاء: أن يتحقق المسلم بمحبة الله – تعـالى - ورسـوله، ومحبـة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والترضي عليهم، وكذلك محبة التابعين والمـؤمنين وموالاتهم، والقيام بحقوق الإسلام والأخـوة معهـم، ونصرتهـم ومعـونتهم عـلى الخـير، والتعاون معهم على ذلك.

أما البراء: فنعني به؛ بغـض الكـافرين والمشركـين، وكـذلك المنـافقين وأهـل البـدع والأهواء المخالفين، لله – تعالى - ورسوله، وصحابته والمؤمنين.

فالحب في الله – تعالى -، والبغض فيه قضية شرعية مهمة، وقد جاءت الشريعـة بهـا، والحث عليها، وجعلتها أوثق عرى الإيمان، ولو تأملنا آيات القرآن، وأحاديـث الرسـول، لوجدنا هذا الأمر في أتم الوضـوح، فقـد قـال – تعـالى - في كتابـه العزيـز: ﴿ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُـونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ أُولَئِـكَ سَـيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيـزٌ حَكِـيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال – تعالى – في المنافقين وموالاتهم: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٧].

وقال – تعالى – في موالاة الكافرين والمشركين: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

بل وهذا نبي الله إبراهيم – عليه السلام – يضرب الله به مثلًا أعلى في تحقيقه ومن معه من المؤمنين، لعقيدة الولاء والبراء، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة:٤].

أما في السنة النبوية فقد روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله".

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله..

ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكـن فرقانـاً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان".

وفي الحديث عند أبي داود بسند صحيح، أن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – قـال: "من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان".

وروى الترمذي وابن ماجة بسند صحيح عـن أنـس أن رسـول الله – صـلى الله عليـه وسلم – قال: "ثلاث من كن فيه؛ وجد بهن طعم الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحب إليـه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منـه، كما يكره أن يقذف في النار".

وعن ابن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال –: "المسلم أخـو المسـلم؛ لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجتـه، ومـن فـرج عـن مسـلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامـة ". [متفق عليه].

وروى النسائي بسند صحيح عن أبي نخيلة البجلي قال: قـال جريـر: أتيـت النبـي – صلى الله عليه وسلم – وهو يبايع فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشـترط علي فأنت أعلم. قال: "أبايعك على؛ أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكـاة، وتناصـح المسلمين، وتفارق المشركين".

* * *

تلاوة القرآن وتدبره

ثم اعلموا – أمة الإسلام – أن أفضل الـذكر تـلاوة القـرآن وذلـك لتضـمنه لأدويـة القلب كما قال الله – عز وجل –: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُـوَ شِـفَاءٌ وَرَحْمَـةٌ لِّلْمُـؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِـفَاءٌ لِّـا فِي الصُّـدُورِ ﴾ [يونس:٥٧].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – يقـول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه" [رواه مسلم]. و

رحم الله القائل:

سـأصرف وقتـي في قـراءةِ مـا أتـى عـن الله مـع مـا جاءنـا عـن رسـولهِ

فـإن الهـدى والفـوز والخـير كلـه بـما جـاء عـن رب العبـاد ورسـلهِ

وقال آخر:

القـرآن أصـلُ أصـول الـدين قاطبَـة فكـن هُـدِيتَ بـه مستمسـكًا وثقًـا

فما أحوج المسلم إلى تلاوة هذا الكتاب وقد بينا ذلك فيما مضى وقـد قـال خبـاب ﷺ: تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد: "إن المسلم يعلم أن كتـاب الله عـز وجـل هـو روح الهداية في هذه الدنيا وهو نقطة التحول في تاريخ البشرية فلابد أن يكون وثيق الصلة به يعيش معه ولا يسأم من ترديد النظر فيه فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم"([1]).

ويقول أيضًا: "ومن هنا فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في صلته بالقرآن فينساه أو يهجره فالقرآن هو الدستور الذي يجمع حقائق الإسلام فإذا انقطعت صلة المسلم به فإن نبع الإيمان يجف في نفسه فتذوي نضارته ويذهب بهاؤه"([2]).

ويقول أبو الحسن الندوي – رحمه الله –: "والقرآن وسيرة محمد – صلى الله عليه وسلم – قوتان عظيمان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان"([3])

فمن الواجب على كلّ مسلم أن يتدبَّر هذا القرآن العظيم، وأن يتفهَّم آياتِه ومعانيَه، وأن يعيش معه برُوحه وفِكْره ووجدانه؛ كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

قال العلامة ابن سعدي – رحِمه الله –: "أي: فهلا يتدبَّر هؤلاء المعرضون القُرآن كتاب الله، ويتأمَّلونه حقَّ التَّأمُّل، فإنَّهم لو تدبَّروه، لدلَّهم على كلّ خير، ولحذَّرهم من كلِّ شرّ، ولملأ قلوبَهم من الإيمان، وأفئِدتَهم من الإيقان، ولأوْصلَهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطَّريق الموصّلة إلى الله، وإلى جنَّته ومكملاتها، ومفسداتها، والطَّريق الموصّلة إلى العذاب وبأيّ شيءٍ تُحْذَر، ولعرَّفهم بربِّهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوَّقهم إلى الثَّواب الجزيل ورهَّبهم من العقاب الوبيل"([4]).

ولا يَخفى علينا ما للتدبُّر من آثارٍ وفوائد، وقد كان رسولُ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – يتدبَّر القرآن، ويردِّدُه وهو قائم باللَّيل، حتَّى إنَّه في إحْدى اللَّيالي قام يردِّد آيةً واحدةً من كتاب الله، وهو يصلِّي لَم يُجاوزْها حتَّى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه أحمد، وهذا يدلّ على وجوب تدبُّر القرآن الكريم ومُعايشة آياتِه، وفهْم معانيه وما تدْعو إليْه.

والقرآن فيه توْحيد، ووعْد ووعيـد، وأحكـام وأخبـار، وقصـص وآداب، وأخـلاق وآثارها في النَّفس متنوّعة.

وقد كان صحابة النَّبي - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقرؤُون ويتدبَّرون ويتأثَّرون، وكـان أبو بكر - رضِي الله عنْه - رجُلاً أسيفًا رقيقَ القلـب، إذا صـلَّى بالنَّـاس وقـرأ كـلام الله - تعالى - لا يتمالَكُ نفسَه من البكاء، ومرض عُمر - رضِي الله عنْه - من أثر تلاوة قوْل اللهَّ - تعالى -: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطـور: ٧، ٨]. [ظـاهرة ضـعف الإيمان وعلاجها للشيخ المنجد].

وقال عثمان بن عفَّان - رضي الله عنْه -: "لو طهـرتْ قُلوبُنـا مـا شـبِعَت مـن كـلام ربِّنا"، وقُتِل شهيدًا مظلومًا ودمُه على مصْحفه، وأخبار الصَّحابة في هذا كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمطلوب من القُرآن هو فهْم معانيه والعمل به، فإن لم تكُن هذه همَّة حافظه لم يكُن من أهل العلم والدين"، وصدق القائل:

فشـمر ولُـذْ بـالله واحفـظ كتابـه ... ففيـه الهـدى حقًـا وللخـير جـامع
هـو الـذخر للملهـوف والكنـز ... ومنـه بـلا شـكٍ تُنـال المنـافع
به يهتـدي مـن تـاه في معمعـة الهـوى ... بـه يتسـلى مـن دهتـهُ الفجـائع

* * *

ذكر الله تعالى

وكذلك يحتاج المسلم في عدته الإيمانية الروحية إلى الذكر وقد قال تعالى: ﴿ أَلاَ بِـذِكْرِ اللهِ تَطْمَـئِنُّ الْقُلُـوبُ ﴾ [الرعـد:٢٨]، وقـال الله – تعـالى –: ﴿ وَلَـذِكْرُ اللهِ أَكْـبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ فَاذكُروني أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقـرة: ١٥٢]، وقـال تعـالى: ﴿ وَاذكُـروا الله كَثِيراً لَعَلَّكم تُفْلِحونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَاذكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفةً وَدُونَ الجَهْرِ مِـنَ القَـولِ بالغُـدُوِّ والآصَال، وَلا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لُهـمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِـيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكراً كَثِيراً، وَسَـبِّحُوهُ بُكـرةً وَأَصِـيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وليعلم المسلم أن حقيقة الذكر ليسـت باللسـان بـل لابـد أن ينشـأ أولاً في الشـعور والوجدان ثم يفيض على اللسان مناجاة وحمدًا وتسبيحًا وتنزيهًا فحينئذٍ يكون المسـلم مـن الذاكرين حقًا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبـي – صـلى الله عليـه وسلم – قـال: "مثـل الـذي يـذكر ربـه والـذي لا يـذكره، مثـل الحـي والميـت". [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قـال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم –: "سـبق المفـردون"، قـالوا: ومـا المفـردون يـا رسـول الله ؟ قـال: "للـذاكرون الله كثـيراً والذاكرات". [رواه مسلم. قـال النـووي – رحمـه الله –: روي: المفـردون بتشـديد الـراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد].

وعن عبد الله بـن بسرٍ – رضي الله عنـه – أن رجـلاً قـال: يـا رسـول الله، إن شرائـع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيءٍ أتشبث به قال: "لا يـزال لسـانك رطبـاً مـن ذكـر الله". [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ].

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم –: "ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة ؟، فقلت: بلى يا رسول الله قال: "لا حول ولا قـوة إلا بالله". [متفقٌ عليه].

وقال الحسن البصري: "تفقـدوا الحـلاوة في ثلاثـة أشـياء: في الصـلاة، وفي الـذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم؛ وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

وقال الإمام ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتـزود العـارفون، وفيهـا يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وبه يستدفعون الآفـات، ويستكشـفون الكربـات، وتهـون عليهم به المصيبات، وهو جلاء القلوب وصقالتها، ودواؤهـا إذا غشـيها اعتلالهـا، وكلـما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا، ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا"([5]).

وفي الحديث القدسي: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتـه في ملأ خير منه" [رواه البخاري].

* * *

مطالعة الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها

لأن مطالعة الأسماء الحسنى ومعانيها، والصفات العلى وآثارها، مما يهذب النفس، ويجدد الإيمان في القلب، ويوثق الصلة بالله – تعالى –.

وقد جاء في القرآن الكريم قول الله – تعالى –: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وجاء في السنة الثابتة قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). [رواه البخاري ومسلم].

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: "لله – تعالى – أسماء و صفات جاء بها كتابه، و أخبر بها نبيه – صلى الله عليه وسلم– أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه – تعالى – فقال سبحانه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [٦].

وقال الإمام الصابوني – رحمه الله – في "اعتقاد أئمة الحديث": "ويعتقدون أن الله – تعالى – مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه...لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يوصف بما فيه نقص أو عيب أو آفة فإنه – عز وجل – تعالى عن ذلك"[٧].

وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: "فهم معاني أسماء الله – تعالى – وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل.. وغير ذلك من ثمرات معرفة تلك الصفات".

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: "لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب – جل جلاله – ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان".

ويقول أيضاً: "ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النعمة موجب للخوف، والتفرد بالإنعام موجب للشكر، ولذلك قال سبحانه: "اذْكُرُوا اللهَّ ذِكْراً كَثِيراً" [الأحزاب: من الآية٤١]".

ونقل الحافظ ابن حجر – في فتح الباري – عن ابن بطال قوله: "طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حالها على عبده، فليعرف العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد: نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد: نقف منه عند الخشية والرهبة".

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفي ما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده.. ولو فتشت لرأيت عنده تعتباً على القَدَر وملامة له.. وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك".

ويقول أيضًا: "وليس هذا مختصاً بأوليته – تعالى – فقط، بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب – سبحانه – يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه

بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله – تعالى – على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت، بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء :﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥].

فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به، وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية، لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه –سبحانه – لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير - جل جلاله - الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته تيقن أنه بمرأى منه – سبحانه -، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه – تعالى - هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يضل ولا ينسى.. إلخ.

فلا بد للعبد من مطالعة أسماء ربه – تعالى -، وشهود آثارها، وملازمة الافتقار إلى ربه سبحانه في كل حال، كما قال القائل:

أخـــي إذا أرهقـــت همـــوم الحيـــاة	ومســـــك منهـــــا عظـــــيم الضرر
وذقـــت الأمـــرين حتـــى بكيـــت	وضـــج فـــؤادك حتـــى انفجـــر
وســـدت بوجهـــك كـــل الـــدروب	وأوشـــكت تســـقط بـــين الحفـــر
فـــــــيمم إلى الله في لهفـــــــة	وبـــث الشـــكاة لـــرب الـــبشر

* * *

إقامة الصلاة بأركانها وخشوعها

اعلموا - يا أمة الإسلام - أن أعظم أركـان الإسـلام بعـد التوحيـد وإقامتـه، إقامـة الصلوات في أوقاتها لله تعـالى، بأركانهـا وشروطهـا، مـن الطمأنينـة، والتـدبر، والترتيـل، والخشوع والذلة لله – تعالى -.

لقد جعل الله – تعالى - المحافظة على الصـلاة، والقيـام بحقهـا مـن صـفات المتقـين الصادقين فقال تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُـدًى لِلْمُتَّقِـينَ * الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة:١-٣].

كما أمر بها الأمم من قبلنا بفعلها، فقال – تعالى - لبني إسرائيل: ﴿ وَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]، ثم كرر الأمر بها فقـال: ﴿ وَاسْـتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥].

ولما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – أمره بدعوة الناس إلى الصـلاة، كـما جـاء في الحديث عن معاذ وابن عباس - رضي الله عنهما -: "إنك ستأتي قومـا أهـل كتـاب، فـإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في كل يوم و ليلة، فإن هم أطـاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قـد فـرض علـيهم صـدقة، تؤخـذ مـن أغنيـائهم، فـترد عـلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنـه لـيس بينها وبين الله حجاب". [رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني في صـحيح الجـامع: ٢٢٩٦].

وهذه الصلاة طريق لتهذيب النفس والأخلاق، وحفظها عن الفواحش والدنايا والمحرمات، كما أخبرنا تعالى في كتابه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

كما جعل - سبحانه - إقامة الصلاة على أوقاتها، من أعظم ما يذهب السيئات والخطايا عن الإنسان، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر". [رواه مسلم].

كما جعل الله الصلاة من أجل الذكر له – تعالى - فقال عز وجل: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه:١٤].

قال السعدي - رحمه الله -: "أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة.

قال الله – تعالى -: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده".

كما حذرنا الله – تعالى – من تضيع الصلاة، وإخراجها عـن وقتهـا الـذي يحبـه الله – تعالى – ويتعبدنا به فقال تعالى: ﴿ فَخَلَـفَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ خَلْـفٌ أَضَـاعُوا الصَّـلَاةَ وَاتَّبَعُـوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون:٤،٥].

كما جعل الله التكاسل عن الصلاة من علامات المنافقين وصفاتهم فقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُـرَاءُونَ النَّـاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٤].

وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعا: "أثقـل الصـلاة عـلى المنـافقين؛ صـلاة العشـاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولـو حبـوًا، ولقـد هممـت أن آمـر بالصـلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطـب، إلى قـوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار". [متفق عليه].

وعنه قال: أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل أعمى فقـال: يـا رسـول الله إنـه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – أن يـرخص لـه فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: "هل تسـمع النـداء بالصـلاة؟" قـال: نعـم قال: "فأجب". [رواه مسلم].

وترك الصلاة بلا عذر شرعي أمر محرم شرعًا، وقد يـفضي بصـاحبه إلى الكفـر عيـاذًا بالله تعالى فعن بريدة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسـلم –: "العهـد الـذي بيننـا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر". [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه].

إذن من الواجب على المسلمين الاهتمام بالصلاة والمحافظة عليهـا، لأنهـا مـن أفـرض الفرائض علينا، ثم لأن الصلاة بناء للإنسان وتهذيب للـنفس، وصـلة قويـة تـربط العبـد بخالقه، وتخلق فيه من أنواع الحب والخشية الشيء الكثير.

قيام الليل

وهذا أيضًا من أعظم الزاد والبناء الإيماني في قلب المسلم وهو من أول مـا أمـر الله بـه نبينا عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْـفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل:١-٤].

وقال الله – تعالى -: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّد بِهِ نَافِلَةً لَكَ، عَسَى أن يَبْعَثَـكَ رَبُّـكَ مَقَامَـاً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء:٧٩].

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦].

وقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات:١٧].

وفي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليـه وسـلم - يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا، يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً". [متفقٌ عليه].

بل إن السلف الصالح كانوا يعظمون قيام الليل، ويرفعون مكانتـه، ويجعلونـه دليـل العلم والخشية، وعلامة الصالحين الصادقين، وكانوا يعجبون ممـا لا نصـيب لـه مـن هـذه العبادة الجليلة.

فقد ذكر ابن الجوزي – رحمه الله – في "صـفة الصـفوة" في ترجمـة الإمـام أحمـد بـن حنبل: عن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة اشـهر بالعسـكر؛ لا يدع قيام الليل، وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها كان يسر ذلك.

وعن أبي عصمة بن عصام البيعقي قال: بت ليلة عنـد احمـد بـن حنبـل، فجـاء بالمـاء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان فقال: سبحان الله رجل يطلـب العلـم لا يكون له ورد بالليل؟. المجلد الأول

وذكر عنه صاحب الآداب الشرعية: إبراهيم بن شماس، قال: كنت أعرف أحمـد بـن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل.

وقال الشيخ تقي الـدين: فيـه أنـه يُكـره لأهـل العلـم تـرك قيـام الليـل، وإن كـانوا مسافرين.

وعن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليـل. فقـال: قيدتك خطاياك.صفة

وفي قيام الليل لتكوين المسلم والداعية عدة عناصر:

١ - الإخلاص: وهو أن يبتغي بدعوته وجه الله سبحانه.

٢ - التميز: وهو ضرورة لشخصية الداعيـة لأن الشـعور بـالتميز هـو الـذي يعطـي للمسلم في نفسه دافع الدعوة لغيره حيث أن هذه الصلاة لا يقوى عليها إلا من تفرد وتميز بالعزم والقوة.

٣- الإرادة: فصلاة التهجد معالجة لنوعي الإرادة: البدء والاستمرار حيـث نجـد في هذه الكيفية طول الصلاة ليتم من خلالها تربية الداعية على إرادة الاستمرار.

٤ - الاتزان النفسي: في ظروف الاستضعاف(٨).

وقد سبق الإشارة إلى فضيلة قيام الليل، وعبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه.

* * *

ذكر الموت والدار الآخرة وقصر الأمل

وذكر المسلم للموت والرحيل عن دار الدنيا، وتذكر منازل الآخـرة وأهلهـا، وقصر الأمل، لهو من أعظم الأسباب الموصلة لزيادة الإيمان في القلـب، واسـتقامة الجـوارح عـلى الطاعات، وكف النفس وزجرها عن المعاصي والمحرمات، واستحضـار مراقبـة الله تعـالى حق المراقبة، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: أخذ رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ".

وكان ابن عمر – رضي الله عنهما – يقـول: "إذا أمسـيت، فـلا تنتظـر الصـباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ مـن صـحتك لمرضـك، ومـن حياتـك لموتـك". [رواه البخاري].

فهذا ولا ريب حال الغرباء عن أوطانهم، أنهم لا يجعلون الدنيا دار مقر، إنما يجعلونها دار مفر، ودار الزاد للآخرة بالتقوى والعمل الصـالح، لأن وطـنهم الحـق هـو الجنـة، دار السلام والنعيم المقيم لأولياء الرحمن، ولهذا فهم على حذر دائـم مـن الـدنيا، وفي اسـتعداد دائم للرحيل والآخرة، ولهذا قائل القائل:

إن لله عبـــــــاداً فطنـــــــــا ... تركـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا
نظـــروا فيهـــا فلـــما علمـــوا ... أنهـــا ليســـت لحـــي وطنـــا
جعلوهـــــا لجـــــة واتخـــــذوا ... صـــالح الأعـــمال فيهـــا سفنـــا

وجاء أيضًا عن أنس رضي الله عنه قال: خط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطوطـاً فقال: "هذا الإنسـان، وهـذا أجلـه، فبينـما هـو كـذلك إذ جـاء الخـط الأقـرب". [رواه البخاري].

وأيضًا عن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: خط النبي – صلى الله عليه وسلم – خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارجٌ أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا، نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا". [رواه البخاري].

وكذلك؛ ذكر الموت هادم اللذات وزيارة قبور الموتى، مما يزيد رصيد الإيمان في القلب ويحقر شأن الدنيا في نظر المسلم الصادق، فلا يتعلق قلبه بغير الله والدار الآخرة، ولا تلتفت نفسه إلى متاع الدنيا الفانية، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

وقال – أيضًا – مذكرًا بوعده الحق: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [ق:١٩، ٢٠].

وقد حوت سورة "ق" من حقائق الموت وحقائق الآخرة الكثير من المشاهد التي تورث القلب خوضًا ووجلاً وقربًا وطمعًا في عفوه وكرمه تعالى ووصية للدعاة أن يكثروا من تلاوتها وكيف لا وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر منها على المنبر في يوم الجمعة ولنا فيه الأسوة الحسنة([9]).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت". [رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وصححه الألباني].

فلا ينبغي أن يغفل المسلم عن ذكر دار مستقره في الآخرة، وعن أنه راحل عن الـدنيا، فلا تعتريه الغفلة وهو في سكرة الدنيا والأموال والتجارة غافلًا ناسيًا، وقد بين الله ذلك في كتابه.

فقال تعالى: ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَموالكُم ولا أَولادكُم عَن ذِكـرِ الله، ومـن يَفعَلْ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هم الخاسِرُونَ، وأنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِـن قَبـلِ أَن يـأتِي أَحَـدَكُمُ المَـوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَولا أَخَّرْتَني إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ، ولن يُؤَخِّرَ الله نَفسـاً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أعمَلُ صَـالحاً فِـيما تَرَكتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هو قَائِلُهَا وَمِن ورَائِهم بَـرْزَخٌ إلى يَـوْم يُبْعَثُـونَ ﴾ [المؤمنـون: ٩٩ – ١٠٠].

فالموت لا محالة منه ولا فرار، فلا بد من الاستعداد له، كما قـال تعـالى: ﴿ كُـلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَـد فَـازَ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وما تَدرِي نَفسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وما تَدرِي نَفسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَمُـوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ فَـإذَا جَـاء أَجَلُهُـم لا يَسْـتَأخِرُونَ سَـاعَةً ولا يَسـتَقدِمون ﴾ [النحل: ٦١].

وفي الحديث عن بريدة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسـلم –: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها". [رواه مسلم].

وكم أخذ الموت من أناس في أشد عافيتهم، وأخذ آخرين في نشوة غيهم وفجـورهم، فسلوا الموت عن أناس ماتوا على المنكرات والسيئات، وسلوه عمن أفضوا لآخرتهم وهـم

يشربون الخمور، ويعاقرون الزنى والفواحش واللواط، وعمن ماتوا وهم على كل محرم من عقوق الوالدين، وأكل الربا، وظلم العباد، وغش الموازين.

وسلوه عمن قبضت أرواحهم وهم بين يدي ربهم، يتلون آياته، ويتعبدون في محراب العبودية، فهم بين قائم وراكع، وتالٍ للكتاب وخاشع، وغيرهم ممن شهدوا الجمع والجماعات، وطافوا بالبيت خاشعين ملبين محرمين لرب السموات.

وسلوه عن أناس ماتوا في سبيل الله يقاتلون، وعن سنن العلم والهدى والإيمان يدافعون وينصرون، وعن غيرهم ممن عرفوا حقيقة دار الفناء، فقدموا لآخرتهم، وبذلوا للفقراء والمساكين من زكواتهم وصدقاتهم، وأحسنوا للخلق أيما إحسان، حتى جاءهم الموت بروح وريحان، ونعيم من الله ورضوان.

فَـــلا تَغُرَّنَّـــكَ الدُّنْيـــا وَزِينَتُهـــا ... وانْظُرْ إلى فِعْلِهـا في الأَهْلِ والـوَطَنِ
وانْظُـرْ إلى مَـنْ حَـوَى الـدُّنْيا بِأَجْمَعِهـا ... هَـلْ رَاحَ مِنْهـا بِغَـيْرِ الحَـنْطِ والكَفَـنِ
خُـذِ القَناعَـةَ مِـنْ دُنْيَـاك وارْضَ بِهـا ... لَـوْ لم يَكُـنْ لَـكَ إلا رَاحَـةُ البَـدَنِ
يَـا زَارِعَ الخَـيْرِ تحصُـدْ بَعْـدَهُ ثَمَـراً ... يَـا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُـوفٌ عَـلَى الـوَهَنِ
يا نَفْسُ كُفِّي عَـنِ العِصْـيانِ واكْتَسِبِي ... فِعْـلاً جمـيلاً لَعَـلَّ اللهَ يَرحَمُنـي
يَا نَفْـسُ وَيْحَـكِ تُـوبي واعمَلِي حَسَـناً ... عَسـى تُجـازَيْنَ بَعْـدَ المـوتِ بِالحَسَـنِ

لقد أخذ الموت الصالحين والطالحين، ولبسوا جميعًا الأكفان، إلا أن منهم من يصير إلى النيران، ويزج في دار الشقاوة والهوان، ومنهم من يصير إلى نعيم مقيم، وفضل عميم، وعز وعطاء، وسناء من الرحمن وبهاء، ففي أي الدارين غدًا تنزل الأقدام، ويكون المقام! نسأل الله حسن الختام، ودار السلام، آمين.

* * *

الحذر من مقارفة الذنوب والمحرمات
مع ملازمة التوبة النصوح

ونحن نرى - يا أمة الإسلام - في كتاب الله – تعـالى -، وفي السـنة النبويـة، الـدعوة الدائمة إلى تَرْك المحرَّمات والكبائر، والنَّهى عن الوقوع في الإثم والمعصية، وعن الانغماس في شهوات النفس وملذَّاتها، والبعد عن كلِّ ما يؤدي إلى سبيلها.

إن تحريم القرآن لكل ما يهدم الإنسانية ويـدمِّر الحضـارات، ودعوتَـه إلى تـرْك ذلـك ونبْذِه، والإعراض عن الطرق الموصِّلة إليه، لَهُو غرضٌ نبيل، وهدفٌ كريم، يسعى القـرآن في دعوته إلى الوصول إليه، وإلى جعْلِه منهجَ حياةٍ واقعيًّا.

يَحفـظ بـه المجتمعـاتِ والأفـرادَ مِـن مَهـاوي الشرور والمعـاصي، وللـتلطُّخ بآثامهـا وأوزارها، من الشرك بالله - تعالى - والإلحاد، والانتماء إلى المـذاهب الإلحاديـة بجملتهـا، والكفر بكل صُوَره، وعقوق الآباء والأمهات وامتهـان حقـوقهما، والظلـم بكـل صـوره أيضًا، والسِّحر الذي هو باب كبير في إيذاء العباد.

وكذا أنواع أخرى، كترك الجُمَع والجماعات، والعُرْي والتبَرُّج والسُّفور، وتحكيم غير شرع الله - تعالى - والتولِّي من أرض الحـرب يـوم الزَّحـف، وغـشِّ المسـلمين وتطفيـف الموازين، وأكْل أموال الناس بالباطل وبالربا، والظلم والسرقة والرِّشـوة، والحِيَـل والمكْـر التي يُتوصَّل بها إلى الفواحش والمنكرات، وشرب الخمور، وإهدار الأموال في غير طريقها الشرعي.

وغير ذلك كثير ومشهور في كتب أهل العلم التي أبانت عن خطر الكبائر والـذنوب على البشرية، في كل مجالات الحياة وضُروبها، ولعلَّ مِن أشهرها كتابَ "الكبـائر" للإمـام الذهبي – رحمه الله تعالى.

ثم اعلموا – أمة الإسلام – أنَّ جوهر الدِّين يتمثَّل في مظهرين:

أداء الفرائض، واجتناب النواهي، بل إنَّ اتِّقاء المحارم أجْلَى مظهـر للعبـادة، وأقـربُ طريق إلى صدق الإيمان؛ كما قال الرسول – صلى الله عليه وسـلم –: "اتـق المحـارم تكُـنْ أعبدَ الناس"؛ حسَّنه الألباني.

ومن هنا يحاذر المسلم أن يُسْخِط ربَّه، أو يتعدَّى حدوده، أو ينتهك حرماته؛ فيجانـب المحرمات، ويجعل بينه وبينها سدًّا منيعًا من الخشية والتقوى، وهـو إنْ فَعَـل ذلـك بإيمانـه وتقواه واستقامته وهداه، فإن حقائق الحياة تُثبِت صدق نظرته وسلامة اتجاهه.

فإن المحرَّمات تمثِّل الخطر الذي يهدِّد الإنسانية ويجلب عليهـا الـدَّمار، هكـذا أثبتـت حقائق العلـم والحيـاة؛ ولهـذا حرمهـا الله، وتوعَّـد المخـالفين بالعـذاب الأليـم في الـدنيا والآخرة.

خطر يجب تداركه:

أمة الإسـلام: إن الإنسـانية توشـك عـلى الانـزلاق في مهـاوي الهـلاك، والهبـوط إلى درجـات الحيوانيَّـة وهـي تسـير وراء المفْسِـدين الـذين يتملَّقـون الغرائـز، ويسترضـون الشهوات.

إن التحرُّج من المحرمات شارة من شـارات النُّبـل والارتفـاع، ودليـل يقظـة الفكـر وكمال العقل، والذي لا يتحرَّج مما حرم الله عليـه يَسْـهل عليـه الانفـلات مـن كـل قيـد، والهروب من كل تَبِعة، والخيانة لكل عهد.[١٠]

وهذا الانحراف يهبط بالمستوى الإنساني، ويَحُول بينه وبين التطهُّر والتسامي، فتسقط قيمته، ويرذل قدره، وينحطُّ إلى الدَّرَك الذي يعوقه عن النهوض بتَبِعات الحق والخير.

وحين يصل المرء إلى هذا المستوى، لا تكون له رسالة سامية، ولا هدف كريم، ولا مَثَل أعلى، وإنما تتَّجه جميع قُوَاه إلى تحقيق ذاتيته، وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه الخاصة، وتنكُّره للمصالح العامة، ويوم أن تخلو الدنيا من الضمائر والمُثُل العليا، تتحوَّل الحياة إلى صراع يكون أشدَّ هولاً، وأبعدَ أثرًا من صراع الحيوانات المفترسة[١١].

إنَّ علَّة التحريم في كل ما حظره الإسلام جلية واضحة، تَستهدف خير الإنسان، وترعى نفع الإنسانية، وليس ذلك سلبًا لحرية الإنسان ولا إعناتًا له، بل إن هذا سبيل لتحرُّر الإنسان ذاتِه من عبودية الشهوات والملذات البغيضة.

وكل مجالات الحياة فيها مباحات، وفيها محظورات يُمنع الفرد منها؛ رعايةً لصالح الجماعة في السياسة والاقتصاد، وفي الحرب، وفي كل مجالات المعاملات والارتباط.

إن الإنسانية لا يمكن أن تتقدم بغير هذا السلوك، فالفوضى والإباحية لا تتفق مع حضارة ولا تقدُّم، ولا تصلح بها حياة، ولا يطمئن في ظلالها إنسان.

إذًا؛ علينا أن نعلم أن الذنوب والمعاصي هي أسرع طريق لإهلاك البشرية والحرث والنسل، وأن أعظم طريق للتخلص منها دائمًا يكون بالاستعانة بتقوى الله تعالى في الظاهر والباطن، وملازمة التوبة في كل حين، وقد أمرنا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتوبة والإنابة دائمًا.

قال الإمام النووي – رحمه الله –: قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍ؛ فلها ثلاثة شروطٍ:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدميٍ فشروطها أربعةٌ: هـذه الثلاثـة، وأن يـبرأ مـن حـق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحله منها. ويجب أن يتوب مـن جميـع الـذنوب، فـإن تـاب مـن بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي.

وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة عـلى وجـوب التوبـة: قـال الله – تعالى –: ﴿ وتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّه الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذين آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ [التحريم: ٨].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – يقـول: "والله إني لأسـتغفر الله وأتـوب إليـه في اليـوم أكثـر مـن سـبعين مـرةً". [رواه البخاري].

وعن الأغر بن يسار المزني – رضي الله عنه – قال: قـال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسلم –: "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتـوب في اليـوم مائـة مـرةٍ". [رواه مسلم].

وعن أبي حمزة أنس بن مالكٍ الأنصاري خادم رسول الله – رضي الله عنه – قال: قـال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لله أفرح بتوبة عبده من أحـدكم سـقط عـلى بعـيره وقد أضله في أرضٍ فلاةٍ". [متفقٌ عليه].

وفي رواية لمسلمٍ: "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".

وعن أبي موسى عبد الله بن قيسٍ الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله – تعالى - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها". [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه". [رواه مسلم][١٢]..

* * *

الحذر من آفة الغفلة القاتلة

أمة الإسلام؛ لا ريبَ أنَّ الأمم تمرُّ بمِحنٍ وشدائد، تهذِّبها تارة، وتربِّيها تـارة، وتَرْفـع عنها غبارَ الطريق تارةً أخرى، كما أنَّ المِحن قد تكون صورةً مـن العقـاب والتـوبيخ، وإنَّ مِن المحن والرزايا التي أصابتْ أمَّتَنا اليوم في مقتلٍ: الغفلةَ بما تعنيه هذه الكلمة مـن معـانٍ وحقائق، مِن التِّيه والنسيان، في شتَّى مجالات الحياة البشرية.

يقول الأستاذ الشيخ محمود محمد شـاكر، في تقديمـه لكتـاب "في مهـب المعركـة"، مصورًا هذه الظاهرة: "وأشدُّ النكبات التي يُصاب بها البَشرُ نكبةُ الغفلة..."؛ "مالك بن نبي، في مهب المعركة، تقديم محمود محمد شاكر".

والغفلة آفةٌ قاتلة، وداءٌ عُضال فتَّاك، وطريق يكثـر فيـه السـالكون إلاَّ مَـن رَحِـم الله تعالى، دبَّ هذا الداء في جَسَد الأمَّة الإسـلامية منـذ عـدَّة قـرون، وأقعَـدها عـن سـبيلها، وأوْهن مِن قُواها، وشغلها أيَّما شغل عن رسالتها وغايتها في هذه الحياة الدنيا، والمتأمِّـل في آيات القرآن يرى أنَّ الله – تعالى – قد أنذر وحذَّر مِن هـذا الـداء المهلِـك، الـذي أصـابَ الأُمم، وأقعدَها عن السبيل الأَمَم، بل وحلَّ بها عقاب الله – تعالى – المعجَّـل؛ كـما قـال – تعالى –: في كتابه لرسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًـا مَـا أُنْـذِرَ آبَـاؤُهُمْ فَهُـمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٦، ٧].

قال ابن سعدي – رحمه الله تعالى – في تفسيره: "وهم العرب الأُميُّون، الذين لم يزالوا خالين مِن الكتب، عادمين الرُّسل، قد عمتْهم الجهالـة، وغمـرتْهم الضـلالة، وأَضـحكوا عليهم وعلى سفههم عقـولَ العـالمين، فأرسـل اللهَّ إلـيهم رسـولاً مِـن أنفسـهم، يُـزكِّيهم ويُعلِّمهم الكِتاب والحِكمة، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين، فينـذر العـرب الأميِّـين،

ومَن لحق بهم من كلِّ أُمَّي، ويذكر أهل الكتب بما عندَهم من الكتـب، فنِعمـة اللهَّ بـه عـلى العرب خصوصًا، وعلى غيرهم عمومًا، ولكن هؤلاء الذين بُعثتَ فيهم لإنـذارهم بعـدَما أنذرْتَهم، انقسموا قسمين: قسم ردَّ ما جئتَ بـه، ولم يقبـلِ النـذارة، وهـم الـذين قـال اللهَّ فيهم: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: نفذ فـيهم القضـاءُ والمشـيئة، أنَّهم لا يزالون في كُفْرهم وشِرْكهم، وإنما حقَّ عليهم القول بعـدَ أن عـرض علـيهم الحـق فرَفضوه، فحينئذ عُوقِبوا بالطبْع على قلوبهم"؛ [١٣].

وقال صاحب "الظلال" – رحمه الله –: "والغفلة أشدُّ ما يُفسِـد القلـوب، فالقلْـب الغافل قلْب مُعطَّل عن وظيفته، معطَّل عن الالْتقاط والتـأثُّر والاسـتجابة، تمـرُّ بـه دلائـلُ الهدى، أو يمرُّ بها دون أن يحسَّها أو يدركها، ودون أن ينـبض أو يسـتقبل، ومِـن ثَـمَّ كـان الإنذار هو أليقَ شيء بالغفلة التي كان فيها القوم، الذين مضتِ الأجيـال دون أن ينـذرَهم منذِرٌ، أو ينبههم منبِّه، فهم مِن ذرية إسماعيلَ، ولم يكن لهم بعدَه من رسـول، فالإنـذار قـد يُوقِظ الغافلين المستغرقين في الغفلة، الذين لم يأتِهم ولم يأتِ آباءَهم نذير.

ثم يكشف عن مصير هؤلاء الغافلين، وعمَّا نَزَل بهم من قدر الله، وَفقَ ما علم الله مِـن قلوبهم ومِن أمرهم، ما كان منه وما سـيكون: ﴿ لَقَـدْ حَـقَّ الْقَـوْلُ عَـلَى أَكْثَـرِهِمْ فَهُـمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾.. لقد قُضِي في أمرهم، وحَقَّ قدرُ الله عـلى أكثـرهم، بـما علِمـه مـن حقيقـتهم، وطبيعة مشاعرهم، فهم لا يؤمنون، وهذا هـو المصـيرُ الأخـير للأكثـرين، فـإنَّ نفوسـهم محجوبةٌ عن الهدى، مشدودةٌ عن رؤية دلائله أو استشعارها"؛ [١٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَـا وَالَّـذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧، ٨].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: "يقول الله – تعالى – مخبرًا عن حـال الأشـقياء الذين كفروا بلِقاء الله يومَ القيامة، ولا يرجون في لِقاء الله شيئًا، ورَضُوا بهذه الحياة الـدنيا، واطمأَنَّتْ إليها أنفسُهم.

قال الحسن: والله ما زيَّنوها ولا رفعوها، حتى رضُوا بها، وهم غافلون عن آياتِ الله الكونيَّةِ فلا يتفكَّرون فيها، والشرعيَّةِ فلا يأتمِرون بها؛ بأنَّ مأواهم يومَ معادهم النار، جزاءً على ما كانوا يكسِبون في دنياهم من الآثام والخَطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكُفر بالله ورسوله واليوم الآخِر"؛ [١٥].

وهنا تأتي آياتُ القرآن تُوحي بعاقبة الغافلين عن آيات الله ورسالاته؛ قال تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وتأتي آياتٌ أخرى تُبصِّر الناس بطريق الهدى، وصُحْبة الصالحين المتقين، وتحذِّر من طريق الرَّدَى، وصُحْبة الأشقياء الغافلين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

إنَّ الغفلة أمرٌ وارد على النفس البشرية، ولكن حسْب الإنسانِ أن يسعى دائمًا إلى معالِم اليقظة والبصيرة؛ حتى لا يُؤخَذ على غِرَّة مع الغافلين، سَأَلَ رجلٌ ابن الجوزي: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباحِ الملاهي؟ فقال: "عندَ نفسك من الغفلة ما يَكْفيها"، وقال ابن القيم - رحمه الله -: "لا بدَّ مِن سِنَة الغفلة، ورُقاد الهوى، ولكن كن خفيفَ النَّوم".

وما توانَى العاملون، ولا تأخَّر الكسالى إلا بسبب الغفلة عن الآخِرة، والانشغال عـن العمل للآخِرة، أمَّا أهل الصلاح فهُم خلاف ذلك؛ كما أخـبر تعـالى: ﴿ رِجَـالٌ لاَ تُلْهِـيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِّ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ [النور: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـةَ رَبِّـهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

إنَّ الدنيا سرعانَ ما تبلَى، وعمَّا قريب ستفْنَى، وليس لها عندَ الله شأنٌ ولا اعتبار، وإنـما هي قنطرة إلى الجنة أو النار؛ يقول عزَّ وجلَّ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحياةُ الدُّنْيَا لَعِـبٌ وَلَهْـوٌ وَزِينَـةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِـيجُ فَـتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِّ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحياةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليـه وسلَّم - قال: ((إنَّ الدنيا حُلـوةٌ خَضِرة، وإنَّ الله تعـالى مُسـتخلِفُكم فيهـا، فينظـر كيـف تعملون، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النِّساء))؛ [رواه مسلم في صحيحه].

إنَّ المخرَج لأمتنا من هذه الغفلة، وطوقَ النجاة لها، لا يكاد يغيب عنَّا في آيات القـرآن المُنْزَل، ولا في وحي النبيِّ المُرْسَل - صلَّى الله عليه وسلَّم - حيث الاعتصـامُ والاستمسـاك بحبْل الله ورسوله، وتحقيق الوحْدة بالأُخوة الإيمانية؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِـي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُـوا وَاذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللهِّ عَلَـيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَـلَى شَـفَا حُفْـرَةٍ مِـنَ النَّـارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الشافعي: الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معْنى كتاب الله وسُنَّةٍ ولا قياسٍ، وإنَّما تكون الغفلة في الفُرْقة.

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥].

وقال - تعالى - أيضًا: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وكما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: خطَّ لنا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خطًّا، ثم قال: ((هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شِماله، وقال: هذه سُبلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الآية))؛ [رواه أحمد والنسائي والدارمي، وصحَّحه الألباني].

وفي خُطبة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في حجَّة الوداع حثَّ على التمسُّك بالكتاب والسُّنة، حيث قال: ((وقد تركتُ فيكم ما إنِ اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا، أمرًا بينًا: كتابَ الله، وسُنَّة نبيه))؛ [رواه مالك].

فالاعتصامُ بالله ورسوله نجاةٌ للأمَّة من طوق الغفلة، وهدايةٌ لها إلى الطريق الصحيح، فلا الْتواءَ ولا اعوجاج، ولا زيغَ ولا انحراف، ولا بِدعَ ولا أهواء.

* * *

المحافظة على أعمال اليوم والليلة

ومما يجدد الإيمان في قلوبكم - يا أمة الإسلام - المحافظة الدائمة على أعمال اليوم والليلة، من الطاعات والأذكار، والسنن والرواتب الواردة والمؤكدة والمستحبات، وكم لها من آثر عظيم، ووقع كبير في تهذيب النفس وصفائها.

فمن ذلك؛ الغرة والتحجيل في الوضوء والطهارة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل". [متفقٌ عليه].

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره". [رواه مسلم].

وعنه- رضي الله عنه - قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: "من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلةً". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ المسارعة إلى الصلوات في المساجد وتعميرها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه شيءٌ؟ ". قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ؛ قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا". [متفقٌ عليه].

وعن جابرٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يومٍ خمس مراتٍ". [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارةٌ لما بينهن، ما لم تغش الكبائر". [رواه مسلم].

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: "ما من امريءٍ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرةٌ، وذلك الدهر كله". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ كثرة المشي إلى المساجد، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح". [متفقٌ عليه].

وعنه- رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: "من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيتٍ من بيوت الله، ليقضي فريضةً من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ التأكيد على ركعتي سنة الصبح، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم- كان لا يدع أربعاً قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة. [رواه البخاري].

وعنها قالت: لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم- على شيءٍ من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. [متفقٌ عليه].

وعنها عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ: "لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً".

وكذلك سنة الظهر، فعن ابن عمر، – رضي الله عنهما – قال: صليت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها. [متفقٌ عليه].

وكذلك سنة العشاء بعدها وقبلها، لحديث ابن عمر– رضي الله عنهما – صليت مع النبي – صلى الله عليه وسلم– ركعتين بعد العشاء، وحديث عبد الله بن مغفل: "بين كل أذانين صلاةٌ". [متفقٌ عليه].

وكذلك باب سنة الجمعة، لحديث ابن عمر أنه صلى مع النبي – صلى الله عليه وسلم– ركعتين بعد الجمعة. [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعاً". [رواه مسلم].

ومن ذلك أيضًا؛ سنة ركعتي الضحى، فعن أبي ذرٍ – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقةٌ: فكل تسبيحةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى". [رواه مسلم].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يصلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله. [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ المحافظة على ركعتي تحية المسجد، فعن أبي قتادة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين". [متفقٌ عليه].

وعن جابرٍ، – رضي الله عنه – قال: أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم– وهو في المسجد، فقال: "صل ركعتين". [متفقٌ عليه].

ومن ذلك؛ المحافظة على السواك وخصال الفطرة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: "لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس – لأمرتهم بالسواك مع كل صلاةٍ". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة، – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "الفطرة خمسٌ، أو خمسٌ من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب". [متفقٌ عليه].

قال النووي – رحمه الله –: الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "عشرٌ من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء". قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة؛ قال وكيعٌ – وهو أحد رواته – : انتقاص الماء؛ يعني: الاستنجاء. [رواه مسلمٌ].

ومن ذلك؛ ذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجنباً وحائضاً، إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض – كما بين أهل العلم –، قال الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلى جُنوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يذكر الله تعالى على كل أحيانه. [رواه مسلم].

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولدٌ، لم يضره". [متفقٌ عليه].

فمن ذلك؛ استحباب الاجتماع على القراءة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". [رواه مسلم].

ومن ذلك؛ المحافظة على الذكر عند الصباح والمساء، قال الله – تعالى –: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيْفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فيهَا بالغُدُوِّ والآصَالِ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرةٍ، لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد". [رواه مسلم].

وعنه– رضي الله عنه – قال: جاء رجلٌ إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة ! قال: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك". [رواه مسلم].

وعنه – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور وإذا أمسى

قال: اللهم بك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت. وإليك النشور". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن].

وعنه – رضي الله عنه – أن أبا بكرٍ الصديق، – رضي الله عنه – قال: يا رسول الله مرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: "اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيءٍ ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك". [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

وعن ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – قال: كان نبي الله – صلى الله عليه وسلم– إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له". قال الراوي: أراه قال فيهن: "له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر". وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: "أصبحنا وأصبح الملك لله". [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن خبيبٍ – بضم الخاء المعجمة – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "اقرأ: قل هو الله أحدٌ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مراتٍ تكفيك من كل شيءٍ". [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح].

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من عبدٍ يقول في صباح كل يومٍ ومساء كل ليلةٍ: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مراتٍ، إلا لم يضره شيءٌ". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

المحافظة على آداب المسلم وتحقيقها

ومما يجدد الإيمان كذلك؛ المحافظة على الآداب النبوية، وهـي آداب المسـلم في ظـاهره وباطنه، وما أكثر ما جاء بـه القـرآن والسـنة مـن آداب سـامية، تهـذب الـنفس وتهـديها، وترفعها للمعالي وتزكيها.

فمن ذلك وأعظمه؛ الأدب مع الله تعالى بتعظيمـه وخشـيته والإنابـة إليـه، والتوكـل عليـه، والاسـتعانة بـه، والخـوف منـه، والرجـاء فيـه، وداوم مراقبتـه في السر والعلـن، والإخلاص له، وتقواه سبحانه.

وقد قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّـاجِدِينَ ﴾ [الشـعراء: ٢١٩، ٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكم أَيْنَمَا كُنْتُم ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: ٦].

وفي الحديث، عن أبي ذرٍ جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معـاذ بـن جبـل - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ". رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما -قال: كنت خلف النبي - صلى الله عليه وسـلم - يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفـظ الله تجـده تجاهـك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا اسـتعنت فاسـتعن بـالله، واعلـم: أن الأمـة لـو اجتمعـت عـلى أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ؛ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف". [رواه الترمـذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ].

ومن ذلك؛ الأدب مع النبي – صلى الله عليه وسلم – بحسن السمع له والطاعة، وكمال التسليم والحب والاتباع، والحفاظ على سنته وهديه، قال الله – تعالى –: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥].

وجاء في الحديث، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى". [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "دعوني ما تركتكم: إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم". [متفقٌ عليه].

وعن أبي نجيحٍ العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: وعظنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موعظةً بليغةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ". [رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ومن ذلك؛ بر الوالدين وكمال الأدب معهما، قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّـكَ أَن لا تَعْبُـدُوا إِلاَّ إِيّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَـلا تَقُـلْ لَهُـمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـلْ رَبِّ ارْحَمْهُـمَا كَـمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنـه – قـال: سـألت النبي – صلى الله عليـه وسـلم –: أي العمـل أحـب إلى الله تعـالى ؟ قـال: "الصـلاة عـلى وقتها"، قلت: ثم أيٌ ؟ قال: "بر الوالـدين"، قلـت: ثـم أيٌ ؟ قـال: "الجهـاد في سـبيل الله". [متفقٌ عليه].

ومن ذلك؛ صلة الأرحام، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّـذي تَسَـاءَلُونَ بِـهِ وَالأَرْحَـامَ " النساء: ١، وقال تعالى: " وَالَّذينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [الآية الرعد: ٢١].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قـال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسلم –: "إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالـت: هـذا مقـام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطـع مـن قطعـك ؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم –: "اقـرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولئـكَ الَّـذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ". [محمد: ٢٢، ٢٣] [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم أيضًا؛ حسن الضيافة للنـاس، وحسـن الجـوار لهـم، وقـد جـاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – قـال:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كـان يـؤمن بـالله واليـوم الآخـر، فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ غض البصر عن الحرمات والعورات، وستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة، وقد قال تعالى: قال الله – تعـالى –: ﴿ قُـلْ لِلْمُـؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِـنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْـهُ مَسْـئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩].

وجاء في الحديث، عن جريرٍ – رضي الله عنه – قـال: سـألت رسـول الله – صـلى الله عليه وسلم – عن نظر الفجأة فقال: "اصرف بصرك". [رواه مسلم].

عن أبي سعيدٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – قـال: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المـرأة، ولا يـفضي الرجـل إلى الرجـل في ثوبٍ واحدٍ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". [رواه مسلم].

وعن أبي سعيدٍ الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليـه وسـلم – قـال: إياكم والجلوس في الطرقات ! قالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدٌ: نتحدث فيها. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "فإذا أبيـتم إلا المجلـس، فـأعطوا الطريـق حقـه"، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: "غـض الـبصر، وكـف الأذى، ورد السـلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يسـتر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة". [رواه مسلم].

وعنه- رضي الله عنه - قال: سمعت رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - يقـول: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه". [متفق عليه].

ومن آدابه؛ بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره لـيفهم إذا لم يفهـم إلا بـذلك، عن أنسٍ - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا تكلم بكلمةٍ أعادهـا ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً. [رواه البخاري].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان كلام رسول الله كلاماً فصلاً يفهمـه كـل من يسمعه. [رواه أبو داود].

ومن آداب المسلم؛ لزوم الوقار والسكينة في حاله، قـال الله تعـالى: ﴿ وَعِبَـادُ الـرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُوْنَ عَلى الأَرْضِ هَوْناً وَإذا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣].

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت رسول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم. [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ الاستخارة والمشاورة في أموره، قال الله – تعالى -: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْـر ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى ﴾ [الشورى: ٣٨].

وجاء في الحديث عن جابرٍ - رضي الله عنه - قال: كان رسـول الله - صـلى الله عليـه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: "إذا هـم أحـدكم بالأمر، فليركـع ركعتـين مـن غـير الفريضـة، ثـم ليقـل: اللهـم إني أسـتخيرك بعلمـك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضـلك العظـيم؛ فإنـك تقـدر ولا أقـدر، وتعلـم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمـير خـيرٌ لي في دينـي ومعـاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنـت

تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمـري أو قـال: عاجـل أمـري وآجلـه، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني بـه". قـال: "ويسـمي حاجته". [رواه البخاري].

ومن آدابه؛ التيمن في الأشياء وفعلها، فعن عائشـة – رضي الله عنهـا – قالـت: كـان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبـه التـيمن في شـأنه كلـه: في طهـوره، وترجلـه، وتنعله. [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ حسن الإصغاء من الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام، فعن جريـر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – في حجـة الوداع: "استنصت النـاس ثـم قـال: لا ترجعـوا بعـدي كفـاراً يضرب بعضـكم رقـاب بعضٍ". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ حسن الموعظة مع الاقتصاد فيها، وعدم إملال الناس، قال الله – تعـالى –: ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعن أبي وائلٍ شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعودٍ – رضي الله عنه – يذكرنا في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنـك ذكرتنـا كـل يـومٍ، فقـال: أمـا إنـه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسـول الله – صـلى الله عليه وسلم – يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. [متفقٌ عليه].

وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسـول الله – صـلى الله عليه وسلم – يقول: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنةٌ من فقهـه، فـأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة". [رواه مسلم].

ومن آداب المسلم؛ تـوقير العلـماء والكبـار وأهـل الفضـل مـنهم وحفـظ سـابقتهم وعلمهم، فعن أبي مسعودٍ عقبة بن عمرو البدري الأنصاري – رضي الله عنه – قـال: قـال

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً، فأقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ له: "فأقدمهم سلماً" بدل سناً: أو إسلاماً.

وفي روايةٍ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءةً، فإن كانت قراءتهم سواءً فيؤمهم أقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمهم أكبرهم سناً".

ومن آدابه، الحب في الله وتحقيق الأخوة الإيمانية، فعن أنسٍ – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار". [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات حسنٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم؛ القيام بحق الأسرة رجلًا كان أو امرأة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أيضاً أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يحل لامرأةٍ أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه". [متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته؛ والمرأة راعيةٌ على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم؛ الإصلاح بين الناس، والسعي بينهم بالخير، قال الله – تعالى –: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْـوَاهُمْ إِلاَّ مـنْ أَمَـرَ بِصَـدَقَةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إِصْـلاحٍ بَـيْنَ النَّـاسِ ﴾ [النساء: ١١٤]

وقال تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَـيْنَ أَخْـوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قـال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم –: "كل سلامى من الناس عليه صدقةٌ كل يومٍ تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صـدقةٌ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع لـه عليهـا متاعـه صـدقةٌ. والكلمـة الطيبـة صدقةٌ، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، وتميط الأذى عن الطريق صدقةٌ". [متفـقٌ عليه].

ومن آدابه؛ البذل والجود والنفقة في سبيل الله، فعن جابرٍ – رضي الله عنه – قـال: مـا سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً قط فقال: لا. [متفقٌ عليه].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من يومٍ يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً". [متفقٌ عليه].

وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله – تعـالى –: "انفق يا ابن آدم ينفق عليك". [متفقٌ عليه].

ومن آدابه؛ الورع وترك الشبهات والإعراض عنها سلامة لنفسه ودينـه، خاصـة مـع النساء، قـال الله – تعـالى –: ﴿ وَإِذَا سَـأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعـاً فَاسْـأَلُوهُنَّ مِـنْ وَرَاءِ حِجَـابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعن عقبة بن عامرٍ – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إياكم والدخول على النساء". فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: "الحمو الموت". [متفقٌ عليه].

والحمو – كما بين أهل العلم – هو: قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه، وذلك لظاهر الأمن من جانبه.

وعن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا يخلون أحدكم بامرأةٍ إلا مع ذي محرمٍ". [متفقٌ عليه].

وعن بريدة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجلٍ من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما ظنكم ؟ ". [رواه مسلم].

وعن النعمان بن بشيرٍ – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن الحلال بينٌ، وإن الحرام بينٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب". [متفقٌ عليه].

ومن آداب المسلم، طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية، قال الله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة". [متفقٌ عليه].

وعنه– رضي الله عنه – قال: كنا إذا بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على السمع والطاعة يقول لنا: "فيما استطعتم". [متفقٌ عليه].

وعنه – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليةً". [رواه مسلم]. وفي روايةٍ له: "ومن مات وهو مفارقٌ للجماعة، فإنه يموت ميتةً جاهليةً". الميتة بكسر الميم.

وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌ، كأن رأسه زبيبةٌ". [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك". [رواه مسلم].

ومن آداب المسلم؛ إنفاذ الوعد والعهد، والحذر من الخلف فيهما، إلا من عذر شرعي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" [متفقٌ عليه].

زاد في روايةٍ لمسلم: "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلمٌ".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت

فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حـدث كـذب، وإذا عاهـد غـدر، وإذا خاصم فجر". [متفقٌ عليه].

وهذا الباب كثير وجليل، وفيه من الآداب السامية، والأخلاق الفاضلة الكثير، وإنـما نبهت على بعض منها، لنكون على بصيرة من الخير والتقـوى مـا اسـتطعنا، وحتـى يتـزود المسلم بما يستطاع من معالم الهدى والنور والإيمان، فتستقيم له دنياه وآخراه.

* * *

*** هوامش الكتاب:**

([1]) شخصية المسلم (ص١٣٨).
([2]) نفس المصدر (ص١٤٢).
([3]) ماذا خسر العالم للعلامة أبي الحسن الندوي (ص٢٣٥).
([4]) تيسير الكريم الرحمن: لابن سعدي.
([5]) مدارج السالكين لابن القيم.
([٦]) أخرجه ابن أبي حاتم.
([٧]) اعتقاد أئمة الحديث.
([8]) حكمة الدعوة رفاعي سرور (ص٤٤-٤٦).
([9]) أنظر الفوائد لابن القيم.
([10]) شخصية المسلم، د. مصطفى عبد الواحد.
([11]) إسلامنا، للسيد سابق.
([١٢]) رياض الصالحين، باب التوبة، للإمام النووي.
([١٣]) تفسير العلامة ابن سعدي.
([١٤]) في ظلال القرآن لسيد قطب.
([١٥]) تفسير ابن كثير.

الفهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٣
أهمية تجديد الإيمان في حياة المسلم	٧
الإيمان أساس الدين والحياة	٧
ضرورة تجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى	٩
إقامة العبودية وتحقيق مقاماتها	١٣
طلب العلم النافع والفقه في الدين	٢٢
تحقيق عقيدة الولاء والبراء	٢٦
تلاوة القرآن وتدبره	٢٩
ذكر الله تعالى	٣٢
مطالعة الأسماء الحسنى والصفات العلى وآثارها	٣٤
إقامة الصلاة بأركانها وشروطها	٣٨
قيام الليل	٤١
ذكر الموت والدار الآخرة وقصر الأمل	٤٣
الحذر من مقارفة الذنوب والمحرمات مع ملازمة التوبة	٤٧
الحذر من آفة الغفلة القاتلة	٥٢
المحافظة على أعمال اليوم والليلة	٥٧
المحافظة على آداب المسلم وتحقيقها	٦٣
هوامش الكتاب	٧٣
الفهرس	٧٤

* * *